

حول كتابات الشهيد كمال عدوان

منير شفيق

لقد كتب الكثير عن مزايا الشهيد كمال عدوان : الناثر والقائد . ولكنني في هذه الدراسة سأستعرض فكره من خلال كتاباته* . ان دراسة ما كتب مسألة هامة يجب ان تولى كل عناية . فالاطروحات التي تناولتها كتاباته ، هي في الجوهر فكر حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » ، معادة صياغته كموضوعات نظرية ، ولهذا فان كتابات كمال عدوان جزء رئيسي في تراث فتح الفكري ، ولا يمكن لاحد ان يدرس فكر فتح ان لم يدرس كتابات كمال عدوان .

كان كمال عدوان مقلا في الكتابة . ولكن كان حين يكتب يقدم بحثا مكثفا ، غنيا بالموضوعات ، مطروحا بايجاز ، وبتعابير واضحة عليها بصماته الخاصة . فهو ذو عقل رياضي يحول دراسته للواقع والظروف الى موضوعات تأخذ شكل معادلات رياضية يبلغ فيها التجريد حدا قريبا من التجريد في الرياضيات ولكنه تجريد يمس مسائل عينية ملموسة على صورة شعارات سياسية .

اعتمد كمال عدوان في منهجه على رصد الواقع المعطى مباشرة ، ثم الدخول مع من حوله بنقاشات طويلة ، قبل ان يحدد رأيا نهائيا . وكان في اثناء ذلك يقلب ، يصدق ، كل الفكر ، وكل المواقف ، مصمما على الا يحمل افكارا مسبقة ضد أي موقف او رأي ، حتى ولو بدا ، في نقاشه ، عكس ذلك . فقد كان يحرص على ان يكون فكره متوقفا جديدا طازجا عند بحث اي موضوع . ومن هنا فان رجلا يحمل مثل هذا المنهج في البحث والتفكير يجب الا يسجل عليه ما كان يطرح من آراء في اثناء مناقشاته وهو في مرحلة استقصاء حالة مستجدة ، وانما يجب ان يسجل عليه ما كتب فقط . لانه كان يفكر ويناقش ، في مجالسه الخاصة ، بصوت عال فعلا . ولكنه ما كان يكتب ، او يطرح في ندوة معدة للنشر ، الا فتاعاته الحقيقية التي تكون قد استقرت وتبلورت في ذهنه . ولهذا فانني اعتبر ان فكر كمال عدوان هو ما طرح في كتاباته ، فهي تراثه الفكري . وهي مواقفه وآراؤه .

قبل تناول الموضوعات التي طرقها الشهيد كمال عدوان لا بد من لفت الانتباه الى ان ما بين ايدينا من اعماله لا يغطيها جميعا ، وربما لا يغطي الا بعضا متواضعا منها . لان معظم ما كتب نشر خلوا من توقيعه ، وباسم حركة فتح ، فضلا عن مقالات لم تنشر ، لسبب او لآخر . كما ان هنالك مجموعة كبيرة من رسائله لم تنشر ولم تجمع ، فضلا عن قصة طويلة (٦٠٠ صفحة بخط يده) لم تنشر ايضا . ولكن ، من ناحية اخرى ، ان ما بين ايدينا من نتاجه الفكري يشكل نماذج يمكن ان يسحب عليها ما بقي من نتاجه غير المعروف ، ولا المنشور .

* أعد هذا المقال أساسا كمقدمة لكتاب يحتوي على مجموعة كتابات للشهيد كمال عدوان ، سيصدر عن الاعلام الفلسطيني الموحد والاتحاد العام للكتاب والصحافيين الفلسطينيين .